زهرة تتمرد

قصة محمد مكرم بلعاوي

رسوم إياد عيساوي

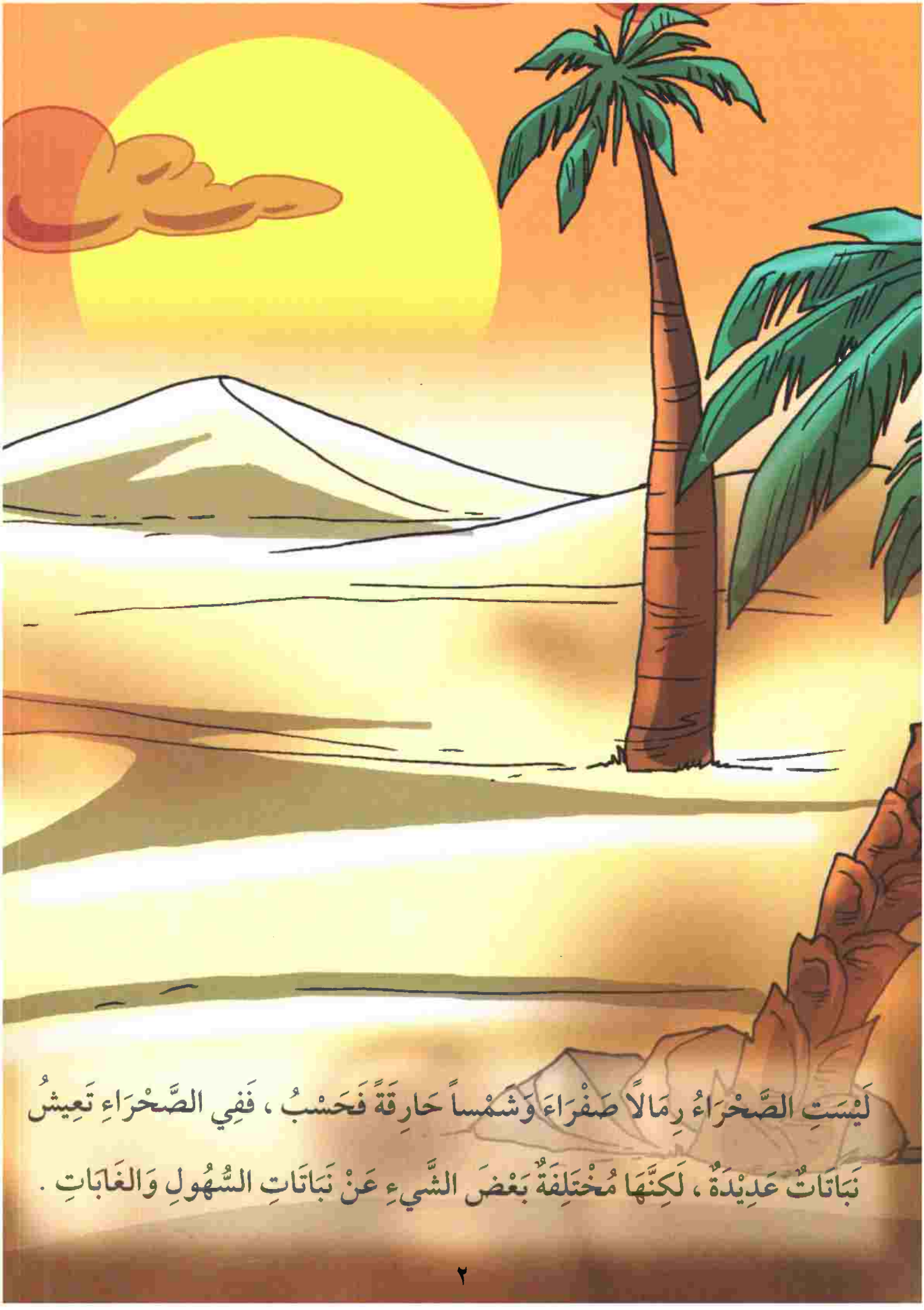

لَيْسَتِ الصَّحْرَاءُ رِمَالاً صَفْرَاءَ وَشَمْساً حَارِقَةً فَحَسْبُ ، فَفِي الصَّحْرَاءِ تَعِيشُ نَبَاتَاتٌ عَدِيْدَةٌ ، لَكِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بَعْضَ الشَّيءِ عَنْ نَبَاتَاتِ السُّهُولِ وَالغَابَاتِ .

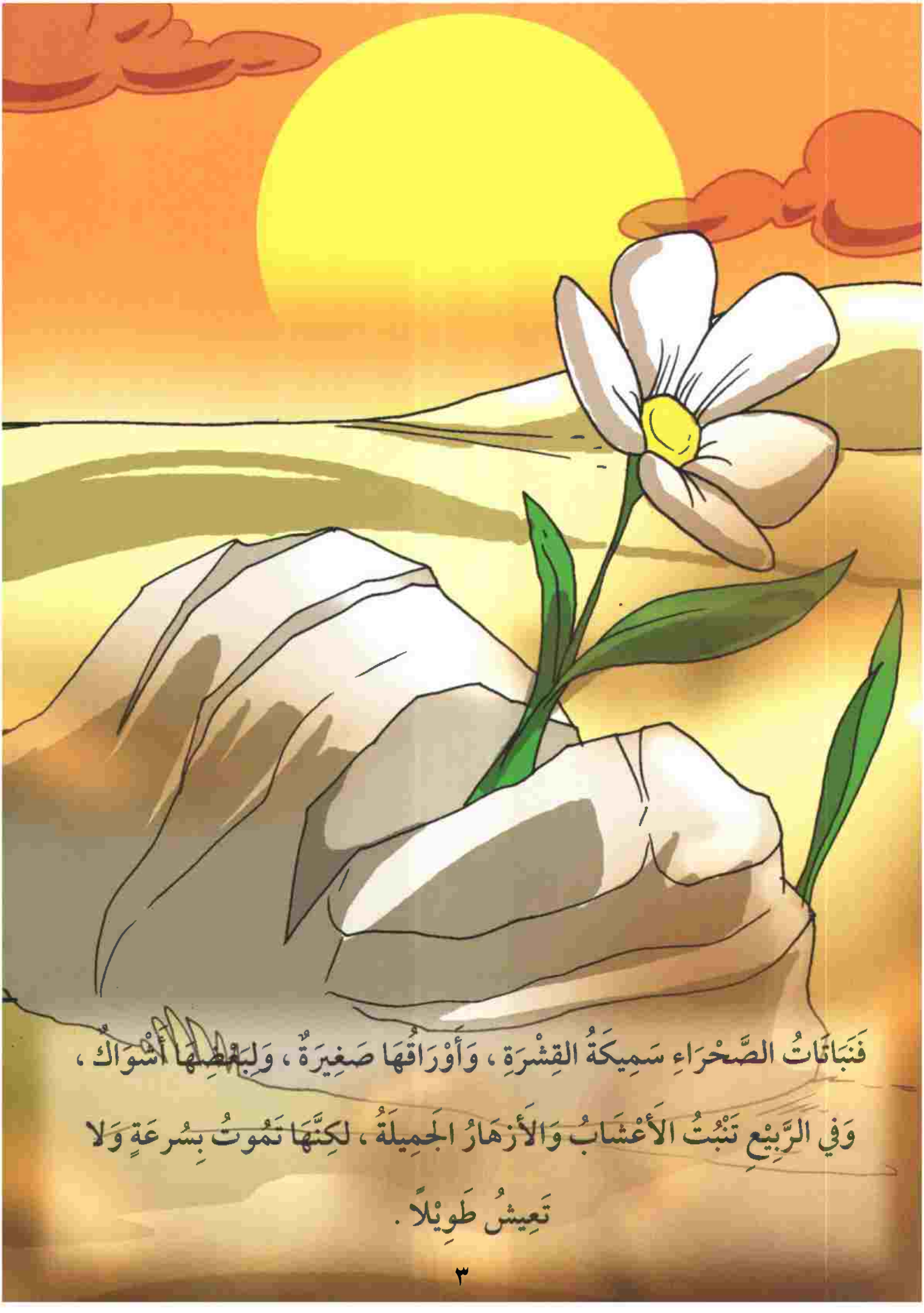

فَنَبَاتَاتُ الصَّحْرَاءِ سَمِيكَةُ القِشْرَةِ ، وَأَوْرَاقُهَا صَغِيرَةٌ ، وَلِبَعْضِهَا أَشْوَاكٌ ، وَفِي الرَّبِيْعِ تَنْبُتُ الأَعْشَابُ وَالأَزْهَارُ الجَمِيلَةُ ، لَكِنَّهَا تَمُوتُ بِسُرعَةٍ وَلا تَعِيشُ طَوِيْلاً .

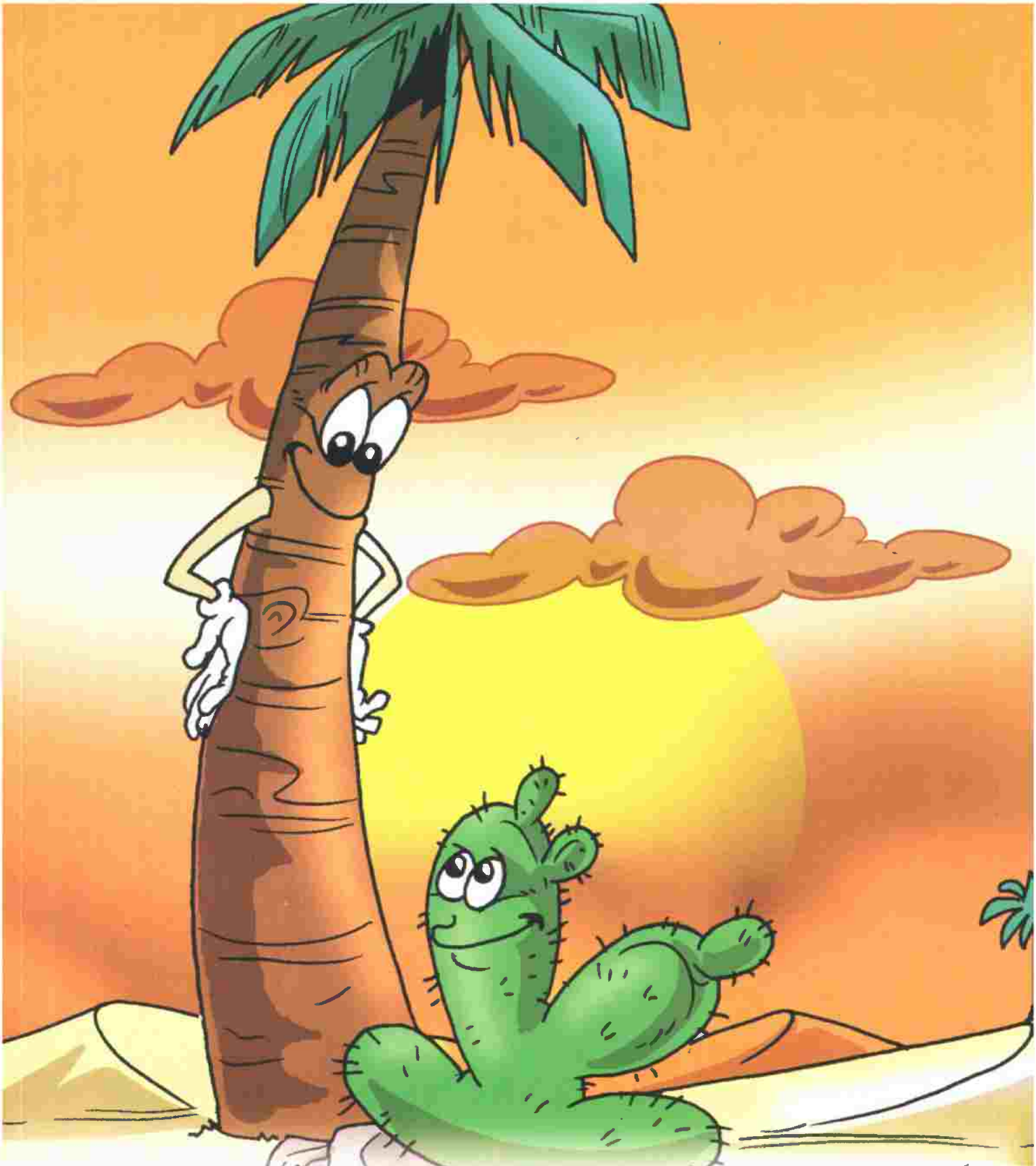

وَأَهَمُّ نَبَاتَاتِ الصَّحْرَاءِ هِيَ النَّخْلَةُ ، تِلْكَ الشَّجَرَةُ الرَّائِعَةُ الجَمَالِ ، ذَاتُ السَّاقِ الطَّوِيْلَةِ الَّتِي تُزَيِّنُهَا أَشْكَالٌ هَنْدَسِيَّةٌ بَدِيْعَةٌ ، تُسَمَّى السَّعَفَ ، وَهِيَ تَبْدُوْ كَتَاجٍ أَخْضَرَ ، وَلِلنَّخْلَةِ ثَمَرٌ حُلْوٌ لَذِيْذٌ نُسَمِّيْهِ البَلَحَ .

وَهُنَاكَ أَيْضاً شَجَرَةُ الصَّبَّارِ ، تِلْكَ الَّتِي يَمْلَؤُهَا الشَّوكُ ، وَتَتَكَوَّنُ مِنْ أَلْوَاحٍ خَضْرَاءَ كَبِيْرَةٍ ، مُرَكَّبَةٍ فَوْقَ بَعْضِهَا ، وَتُعْطِيْنَا ثِمَاراً حُلْوَةً مُغَلَّفَةً بِقِشْرَةٍ سَمِيكَةٍ ذَاتِ أَشْوَاكٍ يَجِبُ تَقْشِيْرُهَا .

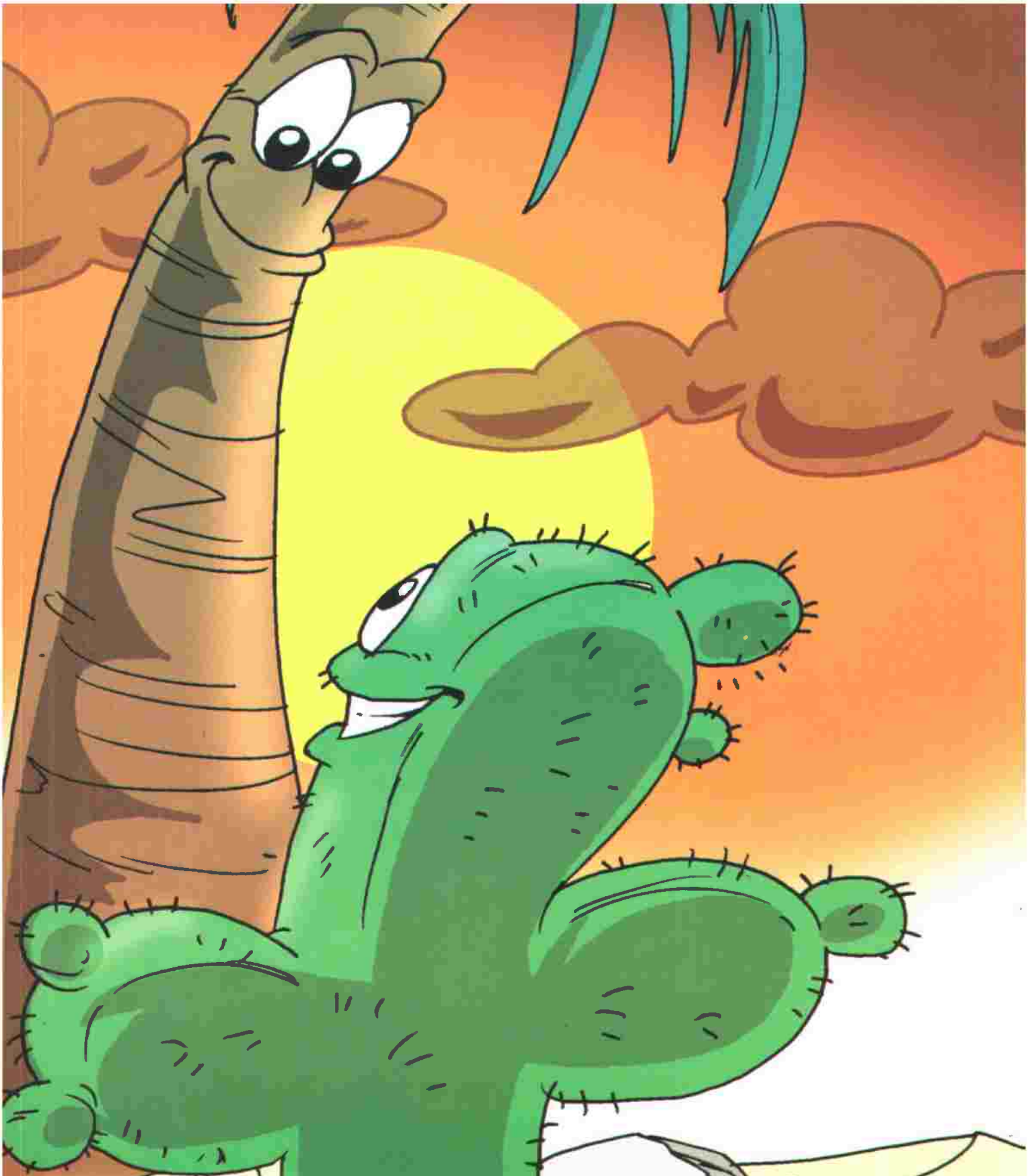

وَفِي أَطْرَافِ وَاحَةٍ فِي قَلْبِ الصَّحْرَاءِ ، عَاشَتْ نَخْلَةٌ كَبِيْرَةٌ وَبِجَانِبِهَا صَبَّارَةٌ عَتِيْقَةٌ ، وَنَشَأَتْ بَيْنَهُمَا صَدَاقَةٌ قَوِيَّةٌ ، فَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِمَا ظُرُوفٌ صَعْبَةٌ مَعاً .

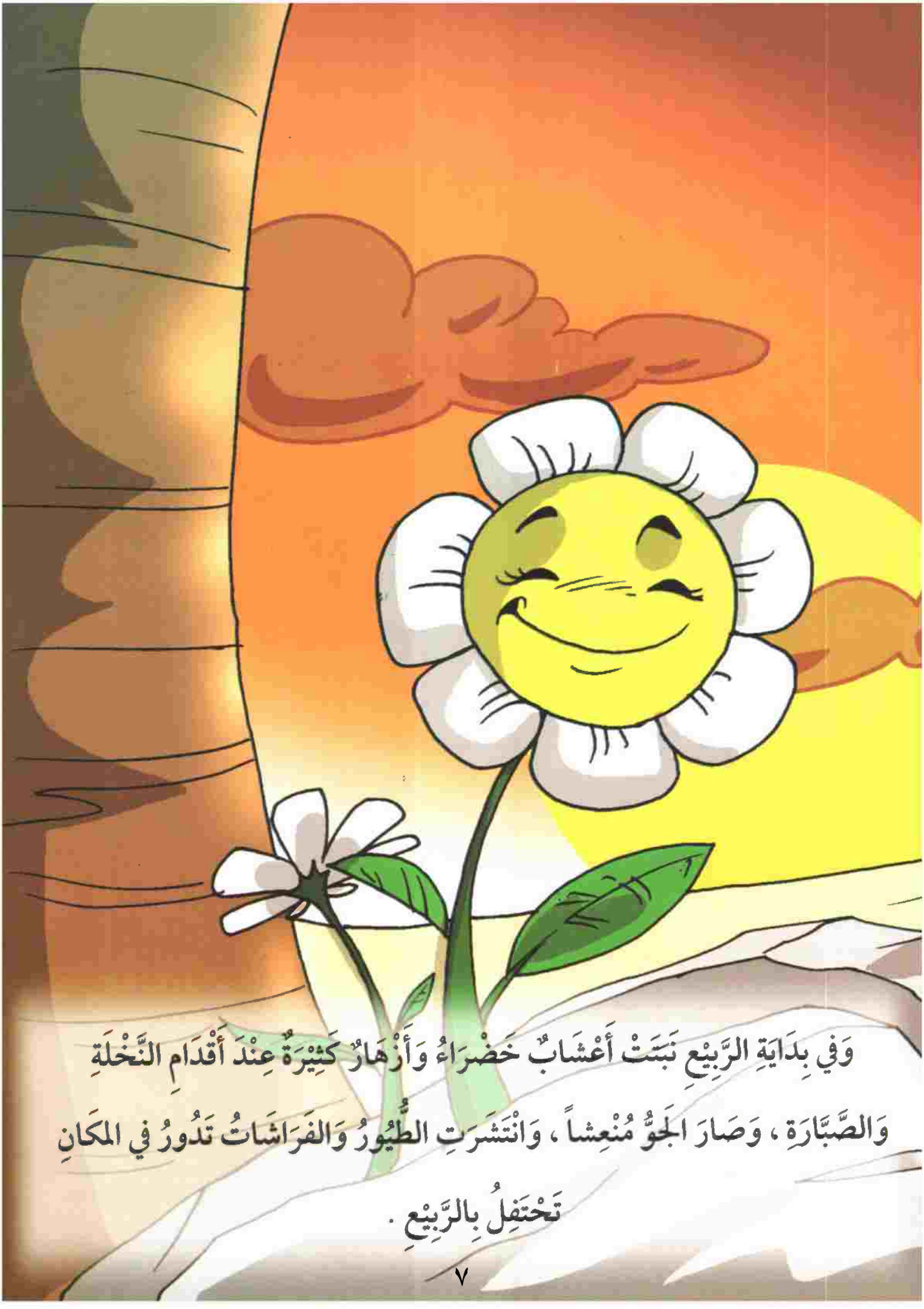

وَفي بِدَايَةِ الرَّبِيْعِ نَبَتَتْ أَعْشَابٌ خَضْرَاءُ وَأَزْهَارٌ كَثِيْرَةٌ عِنْدَ أَقْدَامِ النَّخْلَةِ وَالصَّبَّارَةِ ، وَصَارَ الجَوُّ مُنْعِشاً ، وَانْتَشَرَتِ الطُّيُورُ وَالفَرَاشَاتُ تَدُورُ فِي المَكَانِ تَحْتَفِلُ بِالرَّبِيْعِ .

كَانَتِ النَّخْلَةُ وَالصَّبَّارَةُ سَعِيدَتَيْنِ جِدّاً وَتَشْكُرَانِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَمَا سَمِعَتَا صَوْتاً ضَعِيفاً يَقُولُ: «أَمَّا أَنَا فَلا أُحِبُّ هذَا المَكَانَ، أُرِيْدُ أَنْ أَعِيْشَ فِي غَابَةٍ خَضْرَاءَ بِجَانِبِ نَهْرٍ جَمِيْلٍ يَجْرِي طَوَالَ العَامِ».

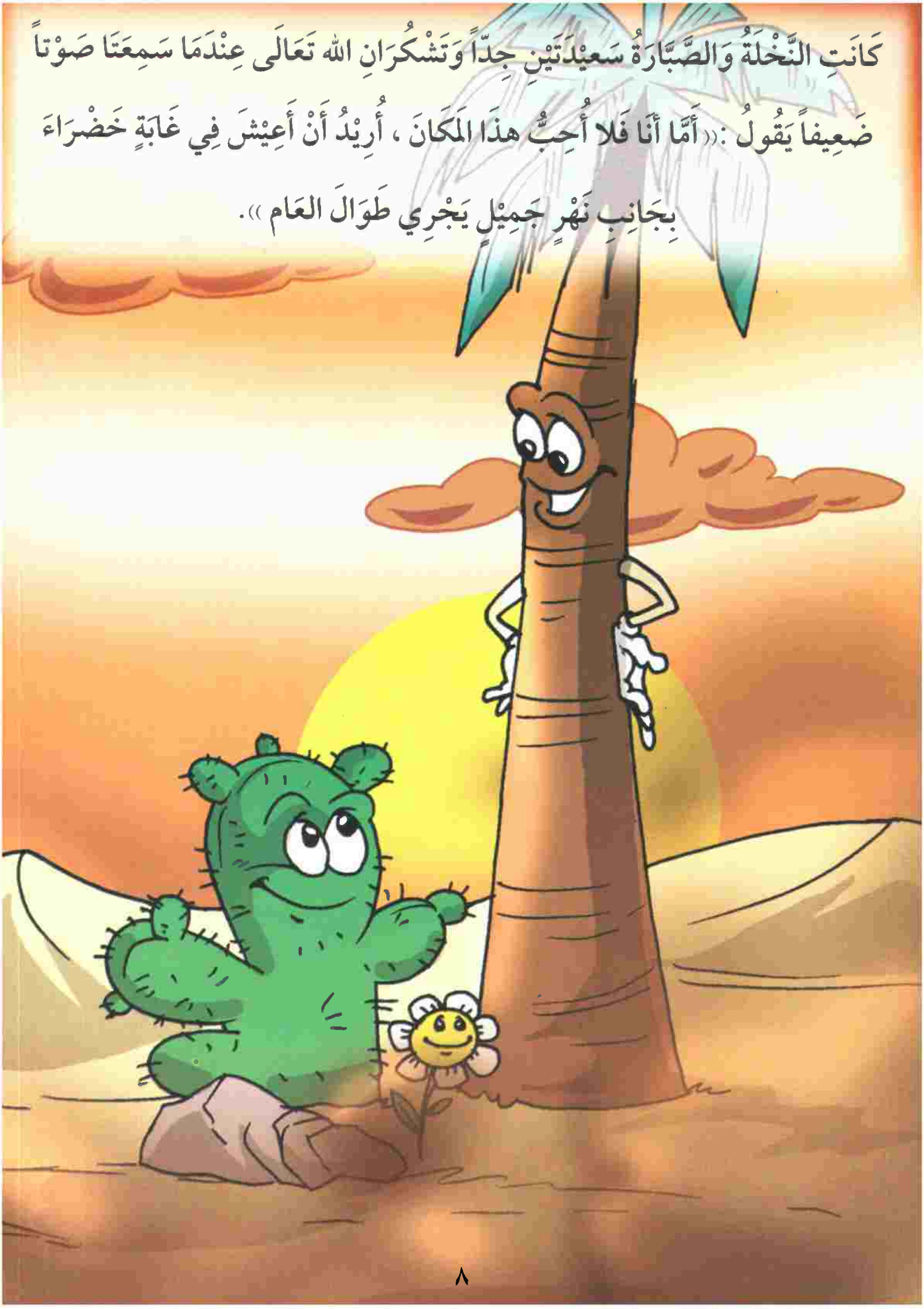

كَانَتْ زَهْرَةً صَغِيْرَةً الَّتِي قَالَتْ ذلِكَ الكَلامَ ، فَرَدَّتْ عَلَيْهَا النَّخْلَةُ : « مَرْحَباً أَيَّتُهَا الزَّهْرَةُ الجَمِيْلَةُ ، كُلُّنَا نُحِبُّ أَنْ نَعِيشَ في غَابَةٍ خَضْرَاءَ بِجَانِبِ نَهْرٍ جَمِيْلٍ ».

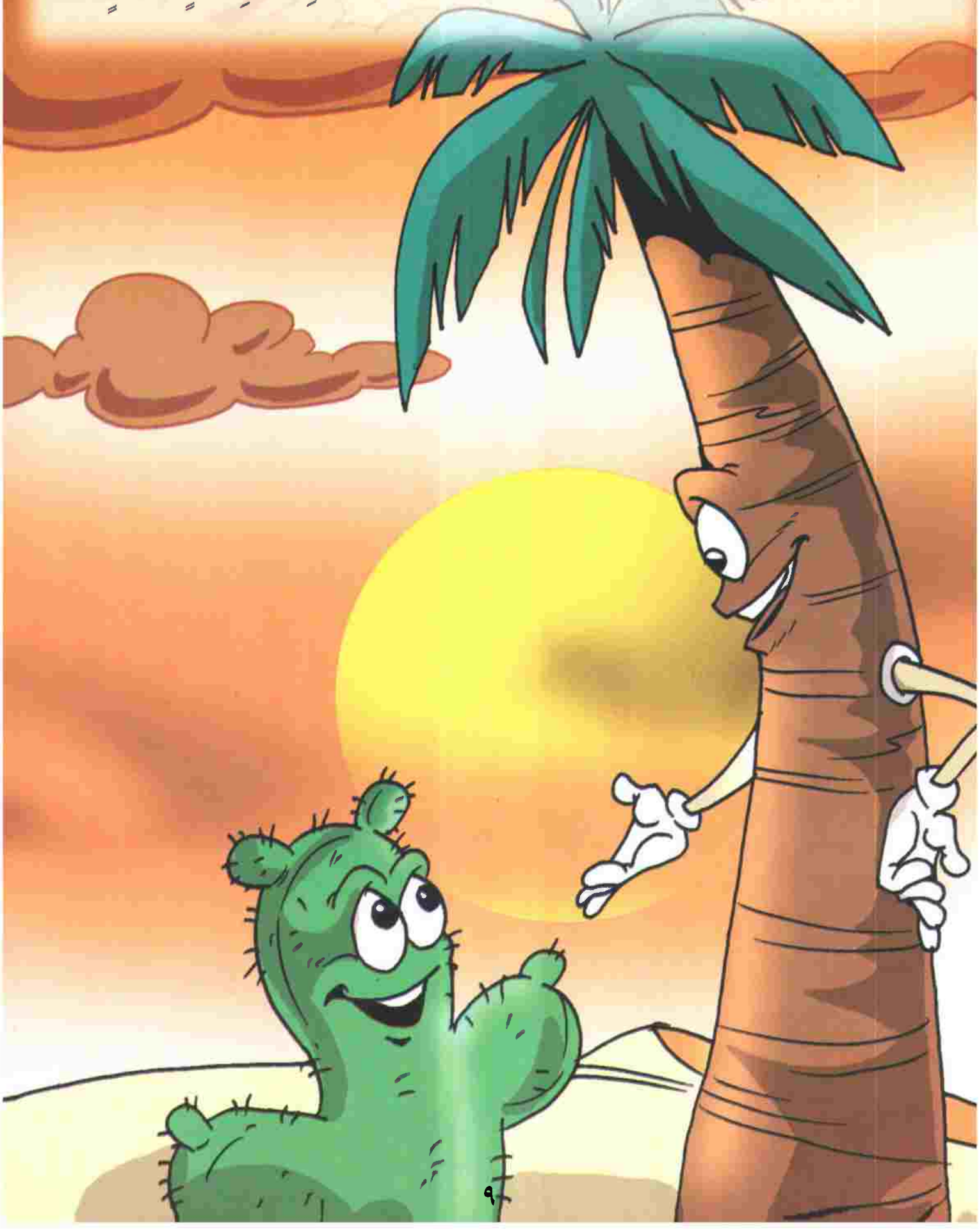

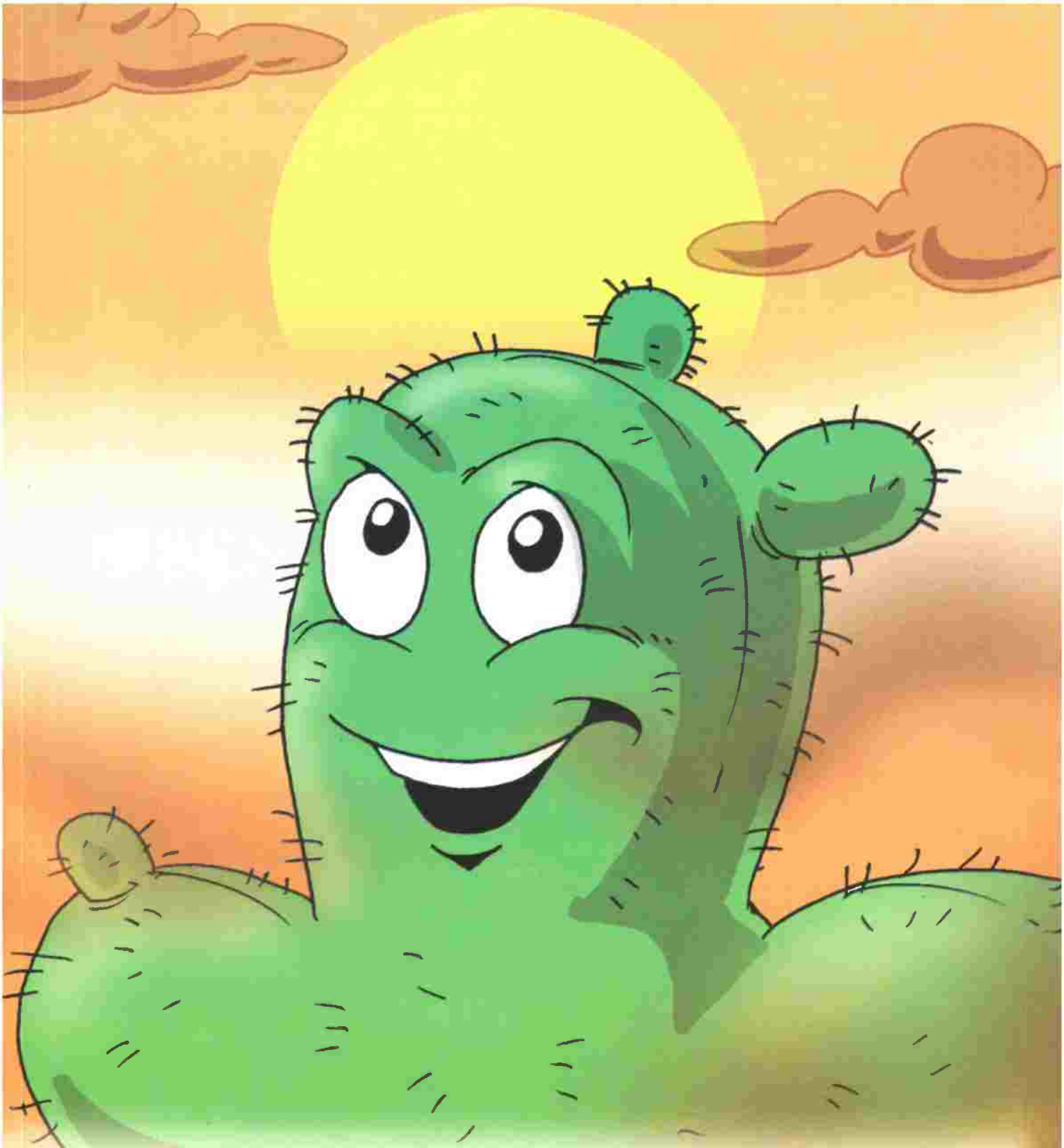

وَقَالَتِ الصَّبَّارَةُ :« بِالتَّأْكِيدِ ! وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَعِيشَ فِي غَابَةٍ خَضْرَاءَ بِجَانِبِ نَهْرٍ جَمِيلٍ ، وَلَكِنَّنِي تَعَلَّمْتُ أَنْ أَقْبَلَ بِمَا أَعْطَانِي اللهُ تَعَالَى ، وَأَنْ أَصْبِرَ عَلَى الصُّعُوبَاتِ ؛ لِذَلِكَ سُمِّيتُ بِالصَّبَّارَةِ ».

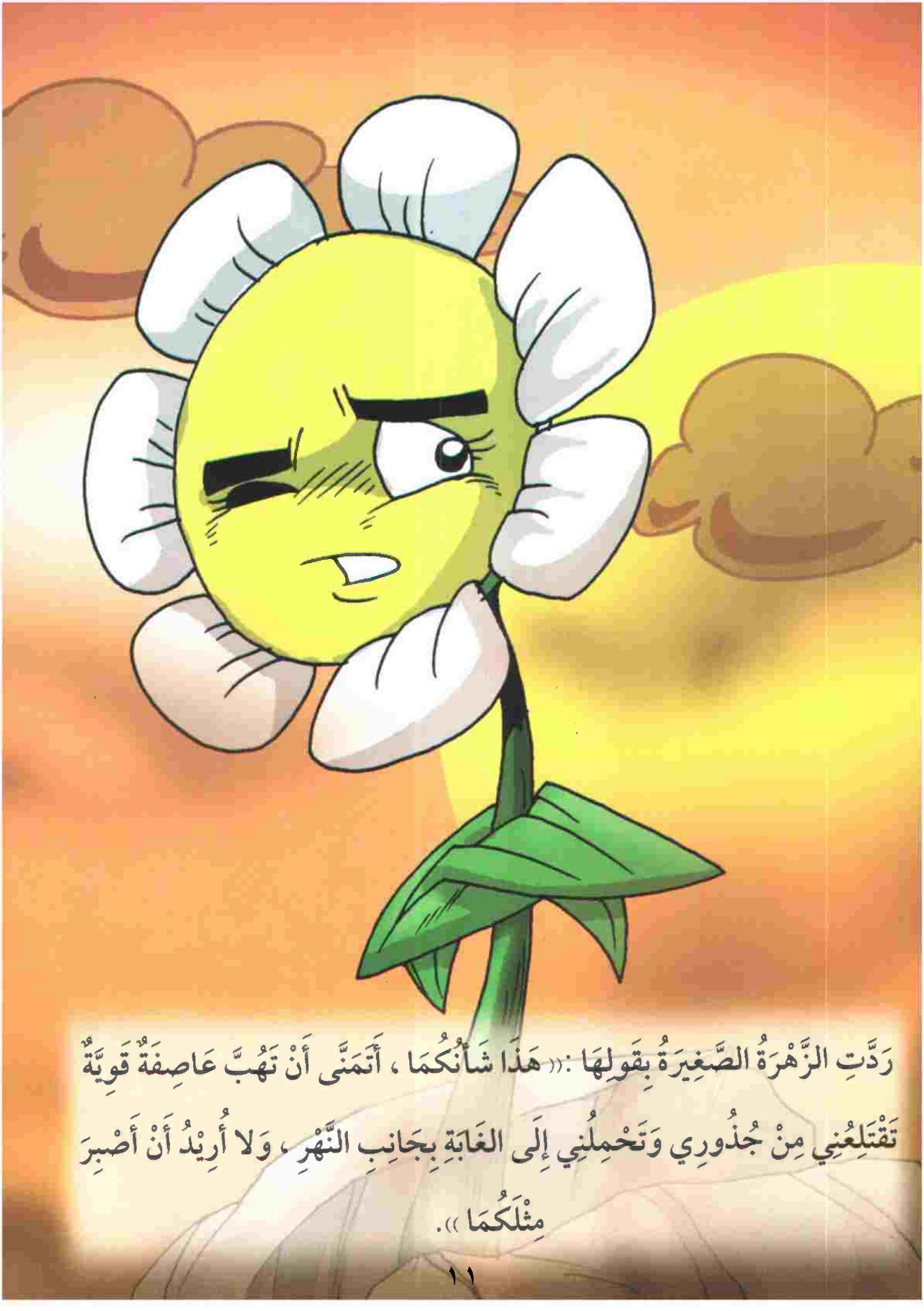

رَدَّتِ الزَّهْرَةُ الصَّغِيرَةُ بِقَولِهَا :« هَذَا شَأْنُكُمَا ، أَتَمَنَّى أَنْ تَهُبَّ عَاصِفَةٌ قَوِيَّةٌ تَقْتَلِعُنِي مِنْ جُذُورِي وَتَحْمِلُنِي إِلَى الغَابَةِ بِجَانِبِ النَّهْرِ ، وَلا أُرِيْدُ أَنْ أَصْبِرَ مِثْلَكُمَا ».

وَعِنْدَ الظَّهِيرَةِ هَبَّتْ رِيْحٌ رَمْلِيَّةٌ قَوِيَّةٌ مَلأَتِ الجَوَّ غُبَاراً ، وَعِنْدَمَا ذَهَبَتْ ، كَانَتِ النَّخْلَةُ وَالصَّبَّارَةُ تَقِفَانِ بِهُدُوءٍ مَكَانَهُمَا كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَحْدُثْ ، أَمَّا الزَّهْرَةُ فَقَد تَشَقَّقَتْ أَوْرَاقُهَا وَاتَّسَخَتْ وَأَحَاطَتْ بِهَا الرِّمَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

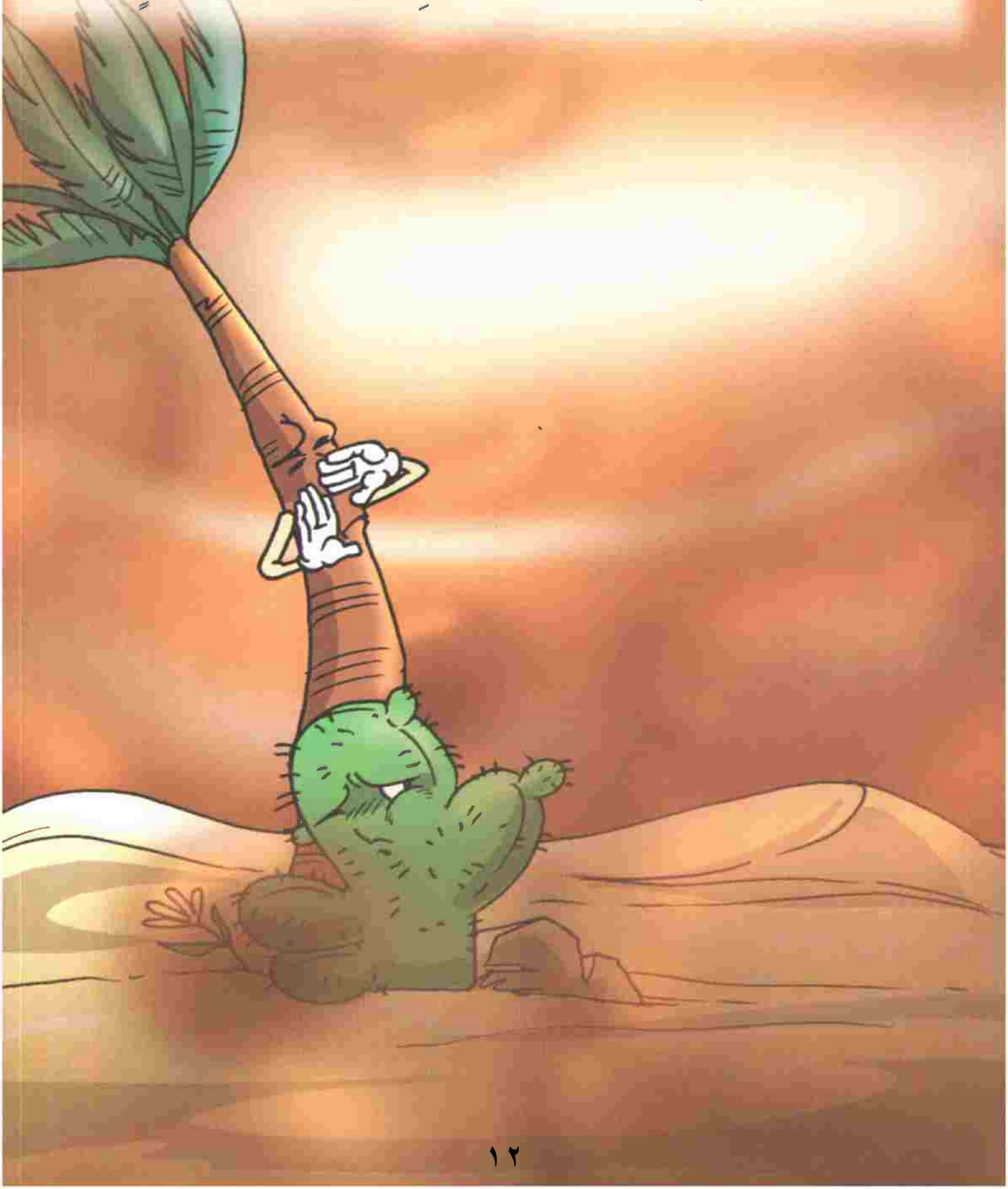

قَالَتِ الصَّبَّارَةُ لِلزَّهرَةِ : « أرَأيْتِ ؟! قُلْتُ لَكِ : مِنَ الأفْضَلِ أَنْ تَصْبِرِي »

فَرَدَّتْ عَلَيْهَا الزَّهْرَةُ : « لا يُمْكِنُنِي ذَلِكَ ، أَتَمَنَّى أنْ يَأتِيَ حَيْوَانٌ يَحْمِلُنِي إلَى الغَابَةِ الخضْرَاءِ بِجَانِبِ النَّهْرِ ».

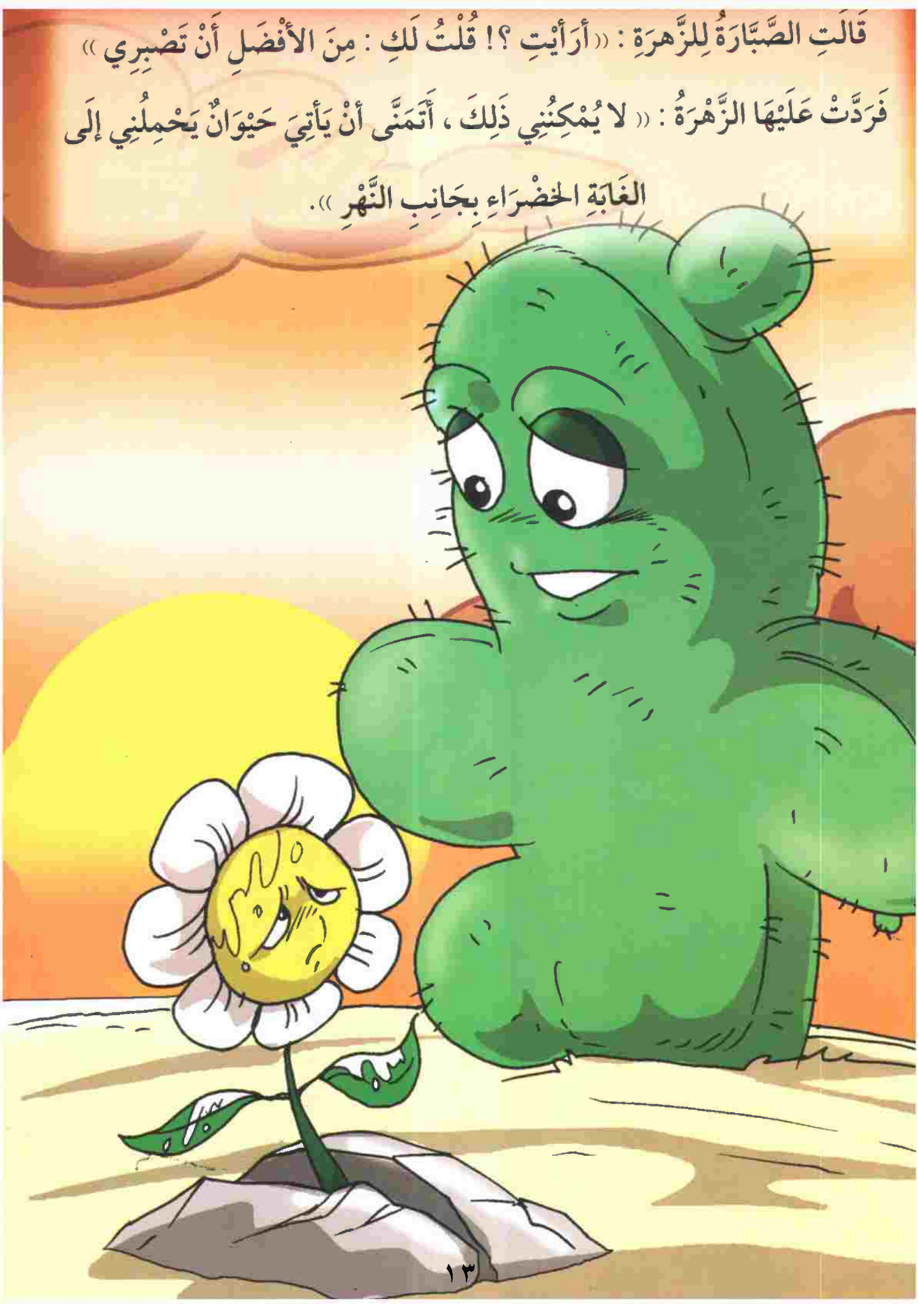

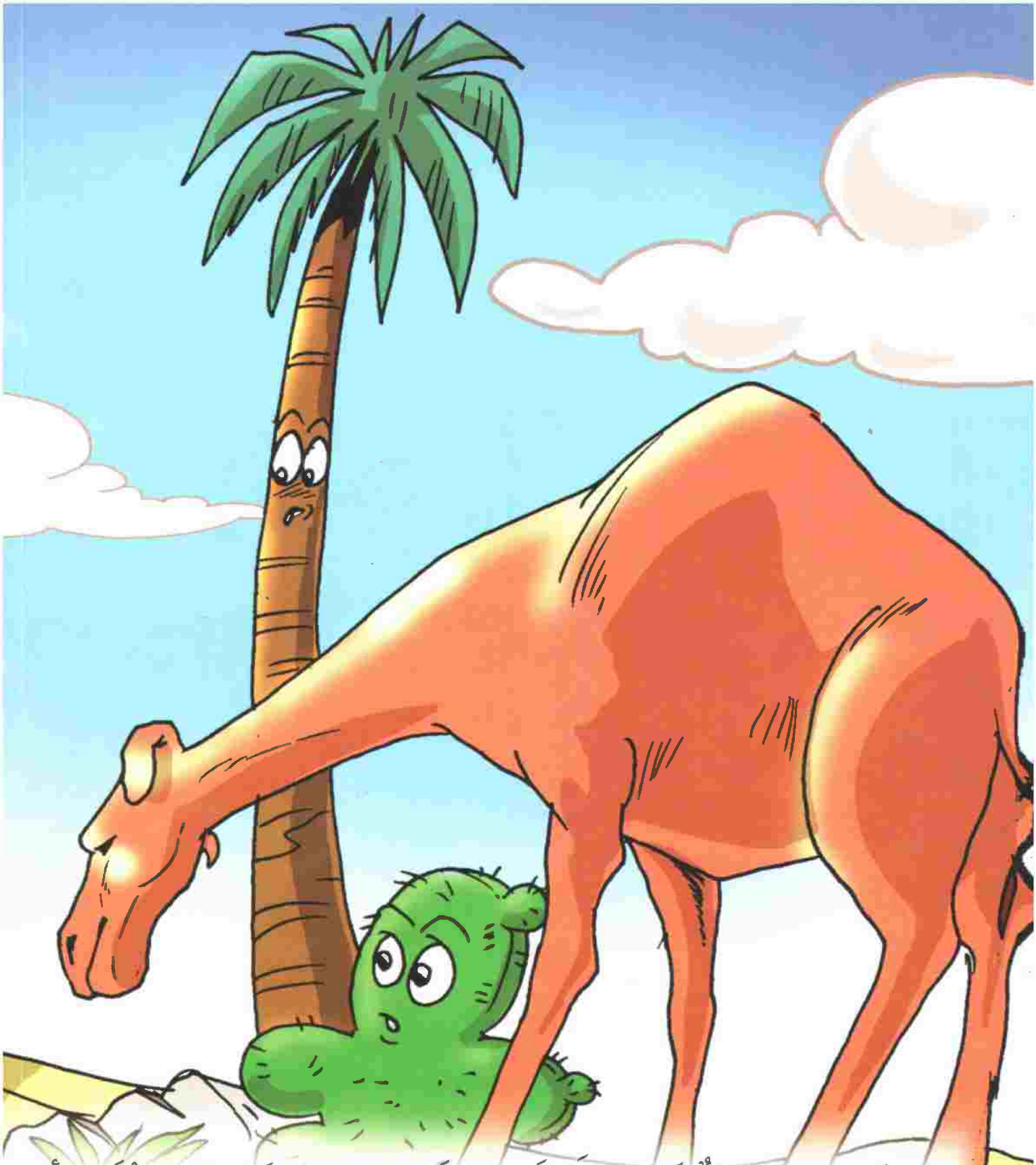

بَعْدَ قَلِيْلٍ جَاءَ جَمَلٌ كَبِيْرٌ ، وَأَخَذَ يَرعَى فَاقتَرَبَ مِنَ الصَّبَّارَةِ ، وَعِنْدَمَا رَأى الأَشْوَاكَ اِبْتَعَدَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ شَيْئاً مِنَ النَّخْلَةِ ، فَاقْتَرَبَ مِنَ الأَعْشَابِ وَأَخَذَ يَأكُلُهَا ، لكِنَّهُ دَاسَ الزَّهْرَةَ بِخُفَّيْهِ حَتَّى حَطَّمَهَا ، وَعِنْدَمَا أَكَلَ حَاجَتَهُ انْصَرَفَ .

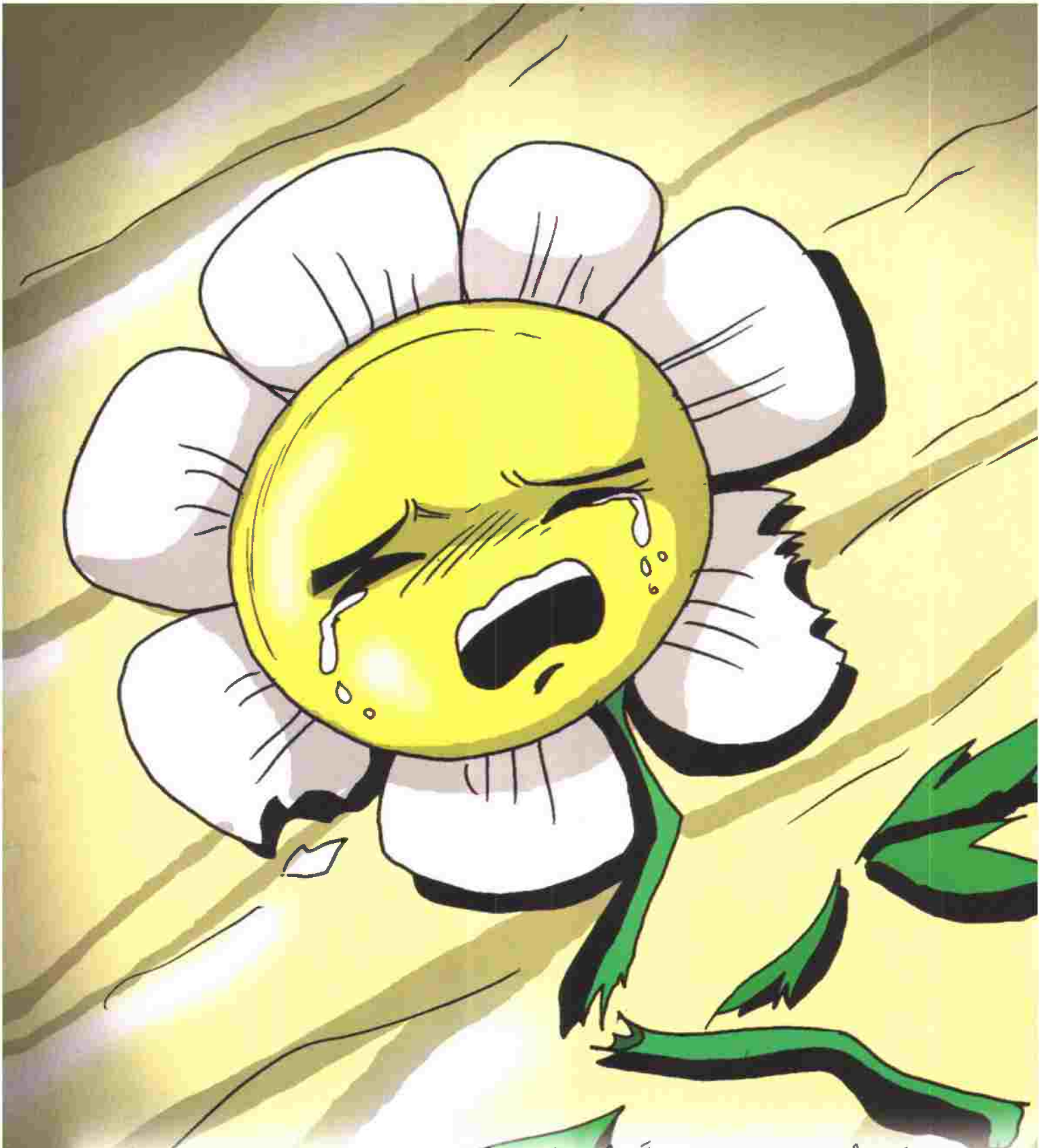

صَارَتِ الزَّهْرَةُ تَبْكِي وَهِيَ مُحَطَّمَةٌ وَمُلْتَصِقَةٌ بِالأرضِ ، فَقَالَتْ لَهَا النَّخْلَةُ :

« لا تَحْزَنِي وَاصْبِرِي ، فَسَتَنْبُتِيْنَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَرَّةً أُخْرَى ، إنْ شَاءَ الله ،

وَتَعُودِيْنَ جَمِيْلَةً كَمَا كُنْتِ ».

صَبَرَتِ الزَّهْرَةُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الَّتِي جَفَّفَتْهَا ، وَتَحَوَّلَتِ الزَّهْرَةُ إِلَى بِذْرَةٍ ، حَمَلَتْهَا الرِّيَاحُ إِلَى الغَابَةِ الخَضْرَاءِ بِجَانِبِ النَّهْرِ الجَمِيْلِ ، وَفِي الرَّبِيْعِ نَبَتَتْ مَرَّةً أُخْرَى ، جَمِيْلَةً كَمَا كَانَتْ .